www.kotobarabia.com

رواية

موسى نجيب موسى

لحم البنات

www.kotobarabia.com

لحم البنات

بقلم/

موسي نجيب موسي

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

جميع حقوق النشر و التوزيع الالكتروني لهذا المصنف محفوظة لكتب عربية. يحظر نقل أو إعادة نسخ أو إعادة بيع اى جزء من هذا المصنف و بثه الكترونيا (عبر الانترنت أو للمكتبات الالكترونية أو الأقراص المدمجة أو اى وسيلة أخرى) دون الحصول على إذن كتابي من كتب عربية. حقوق الطبع الورقى محفوظة للمؤلف أو ناشره طبقا للتعاقدات السارية.

لحـــم البنـــات

لحم البنات مر.

هكذا قالت له بعد أن اقترب منها أكثر وأكثـر وأراد أن يتذوق لحمها الشهي .

قاطعها بشدة :-

ليس كل البنات.

على الأقل أنا.

سبح في زرقة عينيها حتى وصل إلى شاطئ النن ، تمدد تحت أشجار رمشها الظليلـة بعـدها سـحب روحـه وافترشها أسفل قدميه ، حدد القبلة عن طريق موقع الشـمس في فضاء وجودها ، حاول أن يصلي في ملكوتهـا المفتـوح لكنها نهرته بشدة وحاولت طرده من حدقة عينيها التي كادت أن تنغلق عليه وتدهسه.

ألست من البنات ؟

قفزت فوق بساط الريح الذي لفظه منذ قليـل ومـر أمامها لتوه وأمرته أن يتجه بها نحو الشـمس حتـى تبنـي لنفسها عشاً من الجحيم تعيش فيه بقية حياتها المبعثـرة فـي

قلوب كثيرين ... أطاعها البساط دون نقاش واتجه بها نحـو رغبتها الأخيرة.

لم أجرب طعم الحب الحقيقي ولهذا فإن لحمي مـر تذكر أنه أحب كثيراً ، وذاق لحوم بنات كثيرات فلم يكـن – حتى للبنات اللائى لم يحببهن قط – لحماً مراً بل كان حلـوا وأكثر من ذلك أيضاً .

الحب يذل البنت !!

هكذا قالت له بعد أن حاول استمالتها بأخر قصـيدة كان قد كتبها في زرقة عينيها الرائعة ونقاء صـفحة خـدها الرائقة.

ليس كل البنات .

على الأقل أنتِ.

هرولت داخل غابة عينيه الكثيفة حتى فاجأها الوحش الكامن فيهما فلم تستطع أن تكمل هرولتها ولم تعرف لقدمها طريقاً للعودة فتوقفت ولم تحرك ساكناً .

ألست من البنات ؟

أنت مثل كل البنات. إن البنات يولدن بـورث ثقيـل يزداد هذا الإرث ثقلاً يوماً بعد يوم حتى تصل البنـت إلـى

تفتح زهرتيها اللتين يزدان بهما صدرها وتتفتح عينيها علـى الآخرين بلا قيود داخلية فتصاب بالشرخ الذي يشطرها إلـى نصفين.

مرت عليك تجربتين حـب هـي محصـلة حياتـك العاطفية.

الشمس انهارت خاف الأفق فأنهار معها عش الجحيم الذي حاولت بناؤه داخل الشمس منذ قليل وتناثرت أشلاؤهما فوق مياه البحر الممتد أمامهما بلا نهاية.

لم أجرب طعم الحب الحقيقي ولهذا فإن لحمي مر.

"رائد" اسم لن تنسيه طيلة عمرك فعلى الرغم من أنه يمت لك بقرابة وثيقة الصلة ويصغرك بعام إلا أنك أحببتيـه كثيراً منذ أن توضأت عيناك بنور وجهه الصبوح ، ومـلأت أذنيك كلمات أمك عن الاتفاق الذي جرى بين أبيك وعمـك بخصوص زفافكما "رائد لـ مريم ومريم لـ رائـد" نبتـت مشاعرك الخضراء في أرض قلبك البكر وكلما كبـر معـك الحلم والمشاعر واقتربت الحقيقة.

رائد تركك وحيدة لأنه أحب زميلته في كلية الطب.

لم يكن المهندس "محب" يمتلك من حطام الدنيا شـيئاً سوى منزلاً ريفياً بسيطاً ... مبنياً بالطوب اللبن ويقع علـى شاطئ الترعة التي تشق البلد من ناحية الغرب، وكان يمتلك أيضاً (حبة) مشاعر متوهجة لك وحفنة نقود لا تفي بالغرض ولا ترضي أبيك ،أما قلبك فقد ركع ساجداً في محرابه وأخذ يتعبد في هيكله عله يتحرك يوماً ويجني لـك السـعادة مـن حقول الفقراء الذين لم ينس يوماً أنه واحداً منهم.

كيف عرفت كل هذا ؟!!

البنت كتاب مفتوح لمن يريد أن يقرأ سطوره عليـه فقط الاقتراب منها و يغترف من بحر أنوثتها حتـى يشـبع حلمها الخالي من أي اهتمام ذكرى.

أقول لك الكثير أم يكفي هذا ؟

كلما رأت في يده خاتم الزواج ورنـت فـي أذنيهـا كلمات ابنته عندما نادت عليه ذات مرة أمامها (بابا – بابـا) تحسست ذلك النتوء البارز الذي نبت في خدها الأيمن عندما قبلت زوجته في إحدى المناسبات التي جمعتهما صدفة ،بعدها تهرول إلى الجبانات القريبة جداً من منزلهم وتبكي.

لم يعد لحم البنات مراً بل أكثر مراراً .

أسدل الليل ستائره وعم الظلام الكون ولم يكن هناك في العالم كله أي بقعة مضيئة سوى تلك البقعة التي تضمهما معاً ... يضيئها ذلك البريق اللامع الذي يشع من عينيهما ... احتضنته بشدة .. احتضنها بشـدة ... ذاب جسـداهما معـاً وراحا في قبلة طويلة حتى فج نور الصـباح ... وأنفضـح الأمر.

نزف الروح

دائما أنت تقف فى مفترق الطرق... هـى حياتـك التى تحاول أن تحياها دون حياة... دائما تختار الطريق ... أى طريق... ما أن تسير فيه حتى تصـفعك وجـوه تألفهـا تماماً، ووجوه تتمنى أن تتقرب منها ، ووجوه لم تمر علـى ذاكراتك يوماً... تختار وجهاً بعينه ودائما ما يكون لأنثى ... تحبها وتحاول أن تنتزع من بين ضلوعها دقة قلـب لـك ، وتحاول أن تضغط على شفتيها وأسنانها لتشكل لـك كلمـة بحبك وتحاول أيضا أن تملأ حدقتيها حتى لا ترى سواك فى عينيها الجميلتين ... عندما تنجح محاولاتك المتكررة والتـى لا تمل من تكرارها مع وجه واحد أو أكثـر ... يصـحبك الوجه معه باقى الطريق الذى بدأته بمطالعتة ذلك الوجه الذى غالباً ما يكون بريئاً، وعندما تحاول أن تسرق من شفتى هذا الوجه رشفة من رحيقها تجد نفسك قد عـدت إلـى نقطـة البداية... هكذا أنت وستظل دائماً أنت كما أنـت . فـى إحدى المرات- ولم تكن الأخيرة بـالطبع- وأنـت تتوسـط ميدان روحك وتحاول أن تختار طريقاً قد يكون صحيحاً هذه

المرة طرأت على ذهنك فكرة أن تجرب الطـرق الأربعـة دفعة واحدة علك تصل يوماً ... إلى أين ؟ لايهم... المهم أن تصل ... لم تكن مفاجأة لك عنـدما أكتشـفت أن الطـرق الأربعة التى تشق روحك جميعها خطأ ولا توصل إلى شـئ بل أنها جميعاً تؤدى بك إلى نقطة البدايةالتى تحاول الفكـاك منها منذ زمن بأى وسيلة حتى ولو هربت روحك منـك. أثنان وثلاثون عاماً وأنت تحاول وتفشل وتحاول وتفشـل ، وتعود من جديد وتفشل أيضاً ... لكن اليأس لم يتسرب يوماً إليك بل تحاول من جديد . أخيراً لم تجد بداً من الأختيار بين طريقين لا ثالث لهما أما الغـوص فـى بـاطن الأرض أو الصعود إلى سابع سماء . كان لابد من الأختيار النهائى هذه المرة بدلاً من الدوران فى تلك المتاهة التـى كتبـت علـى جبينك منذ مولدك. فى يوم ميلادك الثانى والثلاثون أختـرت بعد أن أستعصت عليك الطريقة الأولى لأنك لاتملـك حـيلاً تستطيع من خلالها أختـراق الأرض ففضـلت أن تختـرق السماء علك تصل إليها روحك يوماً ما ... لم تندهش عندما هممت بتنفيذ ما أخترت بوجود عمـود نـورانى/ بلاـورى ينغرس عند قدمك يصل الأرض بالسماء ، ولم تنتدهش أيضاً

عندما تحولت أنت إلى ذرات دقيقة وتسبح داخل هذا العمود النورانى الذى كان يأخذ شكل الأسطوانه الرفيعـة. عنـدما قابلت أحدهم بأجنحته النورانية الشفافة وعينـاه الصـافيتين وقلبه الذى يدق بنغمات روحية نقية والذى تشاهده بوضـوح كلما أطلت النظر إلى صدره الخالى من أى شعر . لم تعبأ به أو بابسامته الرقيقة وأسنانه اللامعـة بـل فزعـت عنـدما أنعكست صورة وجهك المكفهر على صفحة أسنانه البيضاء. تجاهلت كل شئ وواصلت تسربلك عبر العمـود النـورانى حتى قابلت الآخر بعينيه الناريتين والتى تتقد بالشر الأبدى ، وجهه غير محدد المعالم ، وفمه التى تفـوح منـه رائحـة كريهة جداً ... تخلت عنك أرادتك هذه المـرة تلـك الأرادة التى كثيراً ما كنت تتفاخر بها أمام الضعفاء من بنى البشـر على الأرض ... سحبت كرسياً وجلست على المنضدة التـى أعدها لك خصيصاً كأنه يعلم تماماً يوم مجيئك إليه بل يعلـم أيضاً بأنك سوف تأخذه بالأحضان المغلفة بأشـواق غيـاب الأف السنين بينك وبينه – رغم عمرك الأرضى القصـير- بلا مقدمات ذاب بينكما التكليف وأخذت تدعك فى كفيه بحنان

غريب وتعاتبه على مايفعله ببنيك من البشر . لـم تفـاجئ بأجاباته المتكررة حين يقول لك:-

أننى أريد أن أثبت ذاتى وأشعر بوجودى فى هـذا الكون المقيت.

- ولكن هولاء البشر ضعفاء – وأنا واحد مـنهم- لا حول لنا ولاقوة.

وهل أنا استطيع أن أفعل ما أفعل مع غيرهم ولـم أفعل؟

ولماذا تفعل هذا من الأساس؟

كنت بين فينة وأخرى تعيد عليه سؤالك الأزلى الذى لم تمل من تكراره عليه ولم يمل من أجاباته المتشابهة ، فلـم يمل منك وأنت أبداً لم تمل منه . تعاهدتما على اللقاء مـرة اخرى ورغم أنكما لم تبرحا مكانكما بعد إلأ أنه قبل دعوتـك له على أحتساء كوب شاى ثقيل معك على مقهـى " بظـة" الذى تعشقه لكنه أعترض بشدة على المقهى لم تجد مشقة فى إقناعه بالجلوس على هذا المقهى بل وجدت مشقة أيما مشقة فى كيفية قضاء كل هذا الوقت الطويـل معـه ... كنـت تحاول قتل الوقت باللعب معه دور شطرنج أودور طاولـة

محبوسة رغم أنك كنت تفضل عليهمـا لعـب الـدومينو أو الكوتشينة حيث أن أوراقهما من السهل عليك أن تخدعه فـى لعبهما فسهل عليك أن تخبئ أوراقهما فى أطراف أكمامـك الطويلة . كان يتهرب منك ومن اللعب معك بحجـج واهيـة حيث دائما كنت تنتصر عليه ولم يفلح فى الفوز عليك فـى أى لعبة تلعباها معاً . كنت تعلم أنه يخشى التبـارى معـك فىأية لعبة يلعبها معك . دائما هو مهزوماً معك لكنك كنـت تستبعد بشدة بخله الشديد كدافع لعدم اللعب معك فهو كـريم جداً معك فعلى الرغم من اتفاقكما على أن يـدفع المهـزوم الحساب على الرغم أنه كان دائماً المهزوم إلا أنه كان دائما يدفع لك حساب المشروبات حتى فى الجلسات التى جلسـتما معاً فيها دون لعب . كنت تستبعد أيضاً خشيته مـن حيلـك والاعيبك فهو يمتلك منها الكثير والكثير ولكنك كنت تلمح فى عينيه نظرة خوف وفزع كلما تجولتما معـاً فـى شـوارع "مطاى" الضيقة ، وعندما حاولت الترويح عنه بالذهاب إلـى الريف الذى صدع دماغك من كثرة إلحاحه عليك لكى يزور الريف الهادئ أخذته إلى قرية " منشأة منبال" التى يسـميها العامة " نزلة النصارى" وجدته يقف فجأة أمام عتبة منـزل

بعينه يقع فى مدخل القرية الشرقى وتحولت نظرة الفزع فى عينيه إلى رعب حقيقى لم تر مثله فى عيون كل من تعاملت معهم أو حتى رأيته فى عينيه هو نفسه من قبل ... كان يشير برعشة ملحوظة إلى التراب الذى يملأ الممر الضيق المفضى إلى المنزل الذى وقف أمامه قال لك بصوت كأنـه صـوت سحق عظام قديمة:-

هنا تعيش....

من؟

روحك.....

من؟

الحبيبة.....

تندهش ويزداد أندهاشك كلما أعاد علـى مسـامعك كلمة الحبيبة فقد كنت تظن أن أمثاله لايعرفون الحب وكيف يعرف الحب؟ وانت عندما أدخلت يدك خلسة إلى صدره لـم تعثر له على قلب سألته عن الحب أجاب فى برود شديد:-

الحب ... الحب

سألته عن قلبه ومكانه الخاوى فى صدره:-

لقد القيت قلبى فى الجحيم حتى لايستعبدنى مرة أخرى... كفى مرة واحدة.

كنت تلاحقه بالأسئلة تلو الأسئلة :-

هل هى سبب الخطيئة والسقوط؟

عد إلى الكتب السماوية ... عد إلى جميع الكتب المنزلة وأنت تعرف.

إذن هى سبب سقوطك وفقدك لمكانتك الرفيعة عند المولى عز وجل .

هى كل شئ ... أقصد كانت كل شئ.

والآن...؟

هل تعرف أننى أول من عرف الحب فى هذه الخليقة وأول من فقد حبيبته؟

تعيد عليه السؤال طالباً بالحاح إجابة محددة:-

والآن؟

الآن ... أعطنى يدك.

تسلم له يدك فى استسلام لكى تعرف الحقيقة يضعها فى صدره ويحاول ان يعثر على الفتحة القديمة التى أدخلت يدك فيها من قبل لكنك تنتشلها بسرعة حتى لايهشمها ذلك

الضجيج الهادرالذى يرج جسده المشوه كله والذى لـم يكـن موجوداً من قبل عندما أكتسفت أنه بلا قلب .

لماذا تركتها إذن؟

لماذا تركتنى إذن؟

أيا كان السؤال لقد حدث الفراق فلماذا لـم تحـاول الأصلاح وتعيد ما كُسر؟

لا ينفع الآن ... لاينفع الأصلاح.

لماذا؟

لاينطق بشئ بل يكتفى بأن يوجه عينيـه إلـى السماء وعندما ينطلق منهما الشرر المتقد وقبل أن يسقط على الأرض يطل السماح والمغفرة من العلى القدير. ضقت بـه ... اخيراً ضقت به وبالجلوس معه بعد أن كنت تعاهده دائماً الا تضجر منه أو من مجالسته فدائماً كانت تؤنسك صـحبته ودائماً كنت تحب الجلوس إليه لكن الملل تسـرب إليـك – رغماً عنك- حاولت أن تقتل الوقت مرة أخرى معه ولكـن هذه المرة الوقت كان ثقيلاً جداً على روحك فكنـت تتأمـل جبينه العريض وتتأمل تلك الخطوط الغليظة التى كانت تشبه قضبان السكك الحديدة بكل صلابتها وضـخامتها ... كـان

يغضب منك كثيراً عندما كنت تطيل النظر إلى جبينـه فقـد كنت تشعر أن كل أسراره يختزنها فى هذا الجبين الذى يملأ مساحة كبيرة من تلك المنطقة الحساسة من جسده البغـيض ... عندما كنت تحاول مرة أخـرى كـان ينتهـرك بعنـف ويتوعدك بأن يحدث بك ما لاتشتهى لنفسك على الرغم مـن قوة وشدة العلاقة الطيبة بينك وبينه... الآن تستطيع أن تتأمل بعمق أكثر من الأول ليس جبينه فقط بل كل جسده المسـجى أمامك فى ترهل غريب. يعاودك الملل مرة أخـرى تتركـه ملقى على أرضية السماء وتلقى بنفسك مباشرة فى العمـود الأسطوانى/ النورانى فتجد نفسك قد سقطت مباشرة فى نقطة البداية التى لم تبرحها بعد لكنك لم تجد الميـدان أو الطـرق الأربعة المحيرة أو الوجوه التى تصفعك تألفهـا أو الوجـوه التى تتمنى ان تتقرب منها أو حتى تلك التى لم تمـر علـى ذاكرتك مطلقاً ، ولم تجد ذلك الوجه الذى أخترته بعناية فـى أخر مرة أختيار لك وكان وجه أنثى تعرفهـا تمامـاً لكـى يصحبك حتى نهاية طريقك الذى لاينتهى... وأخيراً لم تجـد ر....و...ح.... ك.

صمــت الكاهــن

سرب من الحمام الأبيض يخرج مـن بـين فخذيـه صوب السماء مباشرة ... يتابع بناظريـه طيـران السـرب بشكله المنتظم لكن تتملكه الدهشة حين يجد حمامـة سـوداء تنشق عن مسار السرب ثم تتجه نحو الشمس مباشرة تثقبهـا وتخرج من الناحية الأخرى ثم تهوى في مياه المحيط فـي حين يظل السرب يطير في مساره المعتـاد ... يخشـى أن يبوح بالسر لأحد وخاصة أب اعترافه فيكون مصيره "الشلح" وترك الكهنوت الذي عشقه منذ أن رشم شماساً في السادسـة من عمره على يد المطران الذي يخشى الآن أن يرسل لـه سؤالاً عن كيفية الخروج من الورطة التي سقط فيها لأنه يعلم تماماً أن المطران سوف يعرفه ويعرف حجم مأساته. فى كل اجتماع للمطران مع كهنة المطرانية يحاول أن يبث في نفسه بعض الشجاعة لكنه يتراجع وهو يرى شفتي المطران وهي تنفتح وتنضم لكى تتلو قرار "شلح" جاء لتوه من البطريـرك ... فضل السكوت وأثر الانسـحاب مـن ذلـك الضـجيج الصاخب الذي يعتمل داخل صدره وعقله ... حاول أن ينس

الأمر برمته فالعريس قد تزوج وانجب ومات أيضـاً وهـو بنفسه قاد صلاة الموتى عليه ... في الصباح سمع طرقـات متتابعة وشديدة على الباب ظن أنها البشرى التي يحملها لـه "معلم" الكنيسة لموافقة المطران على حصـوله علـى رتبـه "القمص" بدلاً من "القس" تلك الرتبة التي ظلت تلازمه منذ أن بدأ الخدمة في الكهنوت المقدس ... تبخر حلمه الطويل على سخونة كلمات ابنته الكبيرة التي هجرت منزل زوجهـا ولا تريد أن تعود إليه مرة أخرى فهذه ليست المرة الأولى التـي يبعثر فيها زوجها كرامتها على أرضية الشارع الذي تسـكن فيه وليست هذه المرة الأولى التي يعود فيهـا إلـى المنـزل تاركاً وعيه وقلبه وعقله مشـتتين فـي الشـوارع الكبيـرة والصغيرة على حد سواء ... حقائبها الكثيـرة... أولادهـا الخمسة ...أدخلت إليه إحساساً بأن هذه هي المرة الأخيـرة التي تأتي فيها إلى منزل أبيها وأنها لن تعود إلى منزلها مرة أخرى، حتى هو نفسه سأم من كثـرة توجيهاتـه وعظاتـه الخاصة التي كان يقولها لزوج ابنته في كل مرة غضب بينه وبينها. ترك ابنته في المنزل وذهب لكي يقود صلاة القداس فالدور اليوم عليه ويجب أن يكون في الكنيسة قبل أن يشـق

نور الصبح قلب الليل ... وصل إلى الكنيسة ... سجد أمـام الهيكل ولبس "الفراجية" البيضاء التي يعشقها وبـدأ صـلاة القداس .....(أشليل)* ... يرد الشعب القليل المتنـاثر فـى صحن الكنيسـة الواسـع...يواصـل صـلاته... (إيرينـى باسى)*... صورة أبنه لم تغب عن عينيه لحظة واحـدة ... العلاج المكثف وشعره الذي كان يخرج في يده كلمـا مسـح رأسه بحنان وأبوه قبضات فولاذية تهوى على سطح ذاكرته بلا رحمة ... الخميس الأخير من كل شهر موعـد جلسـة العلاج الكيماوي مع الطبيب المشـهور بعـلاج مثـل هـذه الحالات في القاهرة في آخر مرة نظر إليه الطبيب في يـأس وقال له:-

المرض تمكن من الجسد تماماً.

سقطت دمعة ساخنة بلت قربان "الحمل" الذي يعـده ليمثل جسد المسيح الذي يتناول منه المصلون فتغفر خطاياهم ... تناول الكأس وسكب فيها من عصير الكرمة بمقدار ثـم أخذ يكمل صلاته ... أعداد المصلين تتزايـد فـي الخـارج

---

* (أشليل) كلمة قبطية تعني : صلّ.

* (أيريني باسى) كلمة قبطية تعني : السلام للكل.

و(خورس) الشمامسة أكتمل والكل تهيئ لسماع عظته التـي ينتظرها الكثيرون. بعد أن انتهى من عظته التي كانت تتكلم عن مراحم الله ومدي تسامحه مع خطايا البشر الكثيرة دخل إلى الهيكل وبينما هو يرفع قلبه مصلياً بحرارة لم يسـبق أن صلى بمثلها من قبل فج نور عظيم عمر الهيكل فأنبلج النور عن ملاك عظيم أخذ يرفرف على يمين المذبح فمـا أن رآه الكاهن أضطرب ووقع في قلبه خوف عظيم شعر به الملاك فبادره:-

لا تخف ... لا تخف إن الله سمع صوت تضـرعك وإن الأمر سوف يحل قريباً ويكون لك فرح وابتهاج وسيفرح بك ولك كثيرون.

وكيف أعلم هذا وأنا شيخ وأخشى الموت قبل أن أنال الصفح والغفران فذنبي أعظم من أن يغتفر

غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله.

ذنبي عظيم فأنا لم أقم بربط العروسـين ولـم اتـل عليهما الصلاة الروحية لحلول الروح القدس لـذا فـالزواج باطل .

أنا (ميخائيل) المسبح في حضرة الله العظـيم وقـد أرسلني لك لأبشرك بهذا وها أنت تكون أبكم وأعمى حتـى يكون اليوم الذي يكون لك فيه هذا .

صوته انقطع ... تأخر في الرد على الخـورس ... تعجب الشعب ومعهم الشمامسة ومعلم الكنيسة الذي لم يجـد مخرجاً من هذا المأزق سوى أن يرفع صوته ببعض الإلحان التي يحفظها ... طالت غيبة الكاهن داخل الهيكـل ،وأفلـس "المعلم" بعد أن فرغ من جميع الألحان التي كـان يحفظهـا. ران الصمت على الكنيسة كلها ... لكن الشـعب خلـع رداء الدهشة التي كست وجهة لفترة ليست بالقليلـة بعـد أن رأى الكاهن يخرج من الهيكل متثاقلاً ... يرفع قدم عن الأخـرى بصعوبة شديدة حتى وصل إلى اقرب أريكة وألقـى بجسـده الضخم عليها ... أنقذ الموقف أحد الكهنة الضيوف الذي جاء قاصداً "أبونا" في خدمة شخصية له وأكمل صلاة القداس بدلاً منه ... بعد القداس علم الجميع ما حدث مع "أبونـا" وأنـه أصيب بالعمي والبكم حتى يأذن الله بأمر كان مفعولاً. حمله معلم الكنيسة والكاهن الضيف وبعض الشمامسة الذين تبرعوا بتوصيل "أبونا" إلى منزله وبعد أن وصـلوا إلـى المنـزل

وضعوه على سريره ثم تركوه يستريح قليلاً.بمجرد أن تمدد على السرير عاد سرب الحمام الأبيض يخرج من بين فخذيه صوب السماء مباشرة –ورغم ضياع نور عينيه مازال يتابع بناظريه طيران السرب بشكله المنـتظم ومازالـت الدهشـة تتملكه عندما يجد حمامة سوداء تنشق عن مسار السرب ثـم تتجه نحو الشمس تثقبها وتخرج من الناحية الأخرى ثم تهوى في مياه المحيط .في ظهيرة أحد الأيام وبينمـا هـو يجلـس كعادته منذ أن زاره الملاك على الأريكة -المغطاة بسـجادة قديمة – التى تملأ فم الباب الخارجي لمنزله بضخامة جسدها دخل عليه ابنه الأوسط الذي لم يشأ أن يخبر والـده بخبـر رسوبه للعام الثالث على التوالي في الثانوية العامة حتـى لا يزيد كربه ويدخله في محنة أخرى إلى جانب محنه الكثيـرة .... غير من عادات جلوسه فأصبح لا يبرح حجرته مطلقـاً واعتزل العالم والناس ولا يخرج منهـا مطلقـاً إلا لقضـاء حاجته فقط حتى الطعام والدواء الذي كتبه له أحـد أطبـاء القلب مؤخراً كانت تدخل بهما إليه زوجته في أوقات محددة وغير ذلك لم يكن يفعل شيئاً . في مساء أحد الأيام وبينما هو

نائم إذا بملاك الرب يأتيه مرة أخرى بنوره العظـيم فهـب فزعاً حيث بادره الملاك:-

- حان الوقت .... الآن .

قالها ورحل عنه تاركاً إياه في بحر الحيرة الذي أخذ يلقيه من موجة إلى موجة ،عندما فتحت عليه زوجته البـاب لتدخل له طعام العشاء والدواء المفروض أن يتناولـه بعـد الطعام ... رآها .. فقد انفتحت عينيه مرة أخرى على الدنيا وسمعها أيضاً وهي تحثه على ضرورة أن يأكل جيداً حتـى يؤدى الدواء الغرض المرجو منه فـي تحسـن صـحته ... فرحت زوجته كثيراً وقامت بالنداء على جميع الأولاد حتـى يفرحوا معها بهذا الخبر الجميل، هرول جميع الأبناء وكانت في مقدمتهم الابنة الكبرى بأولادها الخمسة والتفـوا جميعـاً حول السرير وأخذ يسلم عليهم واحداً واحداً ثم قال لهم:-

قد أكْمل ..

قالها ثم أسبل عينيه التي ذهب نورها للمرة الثانيـة والأخيرة ، فلم يعد سرب الحمام الأبيض يخرج مـن بـين فخذيه ولم يعد يتابعه بناظريه ولم يعد يرى تلـك الحمامـة

السوداء التي كانت تنشق عن مسار السرب ثم تتجه صـوب الشمس مباشرة تثقبها ثم تهوى في مياه المحيط.

قـــال العـــــراف

قال العراف :-

هناك "شخصة" ما تحبك جداً جداً ...!!

انطلقت قذائف العراف من فوهة فمـه إلـى قلبـي مباشرة وقبل أن ترحل الدهشة عن عيني وتـرتعش شـفتاي بكلمات الاستغراب عاجلني :-

هذا الكلام ليس من عندي بل من عند الله.

لم يترك لي الفرصة لكي أفكـر مـن تكـون هـذه "الشخصة" !!! أو حتى أحاول أن أجد أي منطـق طبيعـي لكلامه بل تتابعت قذائفه المحددة الهدف بدقة وعاد يقول:-

إن هذا "الشخصة" جميلة وثرية وفوق كل هذا فهـي مرتبطة بشخص آخر، هذا الارتباط تحديـداً خطوبـة فقـط وليس زواجاً ... فأرجو أن تبتعد عنها لأن الشيطان سـوف يتدخل فليته يتدخل بعيداً عنك.

ضربات العراف المتلاحقة تواكبت مع ضربات قلبي الذي كاد أن يتوقف ... حاولت بحركة لا إرادية أن أخبـئ

خاتم الزواج من يدي ... عاد العراف إلى فتح فوهة مدفعـه صوب قلبي مباشرة:-

كذلك هناك "إنسانة" بمعنى الكلمة غالية عليك جـداً وتحبك جداً وتنام معك على سرير واحد ... وترتع بحريتـك في مراعيها الخضراء.

بهدوء شديد سحبت خاتم الزواج من يدي ودسستـه في جيب سترتي وقلت له :-

لكني غير متزوج.

ومن قال لك أنني قلت أنك متزوج ؟

إذا كان الأمر هكذا ... فمن تكون تلك الإنسانة التي تنام معي في سرير واحد وارتع في مراعيها الخضراء؟!!

لم يرد ولكنه رمقني بنظرة غريبة كادت أن تشـرخ روحي وقال بحده لم أعهدها فيه من قبل :-

سوف نرفع قلبينا بالصلاة والله سوف يكشـف لنـا الأمر.

صديقي "رفيق" كان يبدل نظرات الحيرة والتيـه بيننا ويحاول قدر استطاعته تجنب ذلك العراف الذي لم يكن يطلق البخور أو يطلق لحيته للأيام والزمن أو حتـى كـان

يطفئ الأنوار ويتفوه بكلمات غير مفهومة ... كذلك لم يكـن هذا العراف يتحسس مناطق حساسة من جسدك أو حتى يقوم بعمل الاحجبة أو التعاويذ كل ما كان يفعله أنه عندما تقصده في أمر ما ... يرحب بك في منزله العامر بأحدث الأجهـزة الكهربائية والإليكترونية ويضع يده على فمك طالباً منك عدم التفوه بأي كلمة ثم يغمض عينيه ويطلق العنان لسـيل مـن الكلمات تقذفها أمواج بحر فمه الهادر ... تحاول كثيـراً أن تلاحق هذه الأمواج أو تقاومها أو تستبين الكلمـات المنتقـاة بعناية شديدة من قاموس غريب على أذنك وحياتك فلا تصل إليك سوى (الله ... ربنا ... تحت الدم .... ابنـك ... بـين يديك ... الآن ... ضع يدك عليه يا رب .... احضنه يا رب ... تحت الدم .... تحت الدم)

تخرق الكلمات أذني بقوة . أحاول جاهداً معرفة السر وراء هذه الصلاة العجيبة التي يطلقها هذا العراف ... لكني لا أصل إلى شئ ...بعد أن فتح عينيه ورآني بوضوح أخـذ يحكي لي كل شئ في حياتي...رغم أنه أول مرة يراني فيها وجهاً لوجه... الشيء الغريب حقاً هو أن كل الكلام الـذي قاله صحيح مائة في المائة وحدث في حياتي تماماً ...توقفت

كثيراً عند موضوع "الشخصه" المخطوبة الجميلة الغنية والتي تحبني جداً جداً ...حاولت أن أعرف منـه تفاصـيل أكثـر تعينني على معرفة من تكون هذه المزعومة؟ لم يعطني إجابة شافية أو أي دليل يساعدني في الوصول إليها لكنه عاد يقول في حزم نهائي:-

-هناك "شخصة" ما تحبك جداً جداً وهذا الكلام ليس من عندي بل من عند الله.

دارت بي الحجرة ولم أدر بنفسـي ...بعـد أن أودعت بعض الجنيهات في يد ابنته الصغيرة "مريم" خرجت من عنده مهرولا لا أعرف لقدمي طريق ولا وجهة معينة لي ؟ ولا أعرف هل خرج معي صديقي "رفيق" أم تركته فريسة أخرى يلتهمها ذلك العراف بصلواته الغريبة؟ في المساء لـم أشأ أن أخبر زوجتي بما حدث حتى لا أفسد قلبهـا النـاعم والذي يحبني بقوة ستة عشـرة عامـاً مضـت... أخـذت استعرض كل البنات التي مرت على في حياتي كلها سـواء هؤلاء اللاتي يحطن بي في العمل أو بنـات جيراننـا أو أي بنت كنت قد قابلتها في أي مكان ودار بيننا حديث ومـازال حديثها عالقاً بأهداب عقلي ... وأخذت تتـوالى علـى هـذه

البنات في صور متتابعة ومتلاحقة حتى اللاتي لم يتوفر فيهن شروط العراف الثلاث (خطوبة – جمال – ثراء) لم اهتـد إلى شئ أو أرسى على بر أمان أو حتى التقطت خيطاً ولـو دقيقاً أسير عليه حتى أثبت صحة أو كـذب مـا قالـه لـي العراف. توالت الأيام وتعاقبت معها الشهور وفي كل مـرة أذهب فيها إلى العراف يؤكد لي نفس الكـلام بـل وبـنفس الألفاظ دون أن يغير أو يبدل شيء فيها ... لم أشأ أن أسـير وراء أوهام رجل لا يعرف ما يقول وقررت أن أنسى الأمر برمته وأنتبه لحياتي وأحوالي حتى كان صباح حـين هلـت على بوجهها البشوش وبسمتها الناعمة وتلقفت يدي في حنان غير معهود حتى كادت تضمها بين كفيهـا وترفعهـا إلـى صدرها الرجراج وقالت لي في دلال غريب:-

صباح الخير يا أستاذ موسى .

سحبت يدي بسرعة وخرجت مهـرولاً حتـى وصلت إلى الكنيسة الوحيدة الموجودة في القرية ... دخلـت ولم أشأ أن أسمع تحذيرات الكاهن بضرورة خلع حذائي لأن الأرض التي أقف عليها مقدسة ... بل هرعت إلى الهيكـل وتمددت على المذبح المقدس حتى تراءت لي فصائل وكتائب

كثيرة من الملائكة كانت تهل على من كل صـوب وحـدب وهي ترفرف فوق جسدي الممدد على المذبح المقدس ورائحة بخور عنيفة تملأ أنفي بقوة وكلمات تـرانيم ترتخـي علـى ألحانها جفوني وتتراقص على نغماتها أذني حتى جاء ملاكان فحملاني إلى أعلى ... إلى أعلى حتى أصطدم جسدي ببطن القبة الوحيدة للكنيسة من الداخل فهوى جسدي بشدة وعنـدما فتحت عيناي وجدتني في ملابس العرس وهي فـي ملابـس زفافها الجميلة والكاهن الذي كان يحذرني من مغبة الـدخول إلى الهيكل المقدس بالحذاء يقبض على كفينا ويتمتم بكلمـات غريبة لا أفهمها ووجوه كثيرة أعرفها جيـداً تمـلأ صـحن الكنيسة .. بحثت عن وجه العراف بين كـل هـذه الوجـوه ولكني لم أره مطلقاً ...

قلت لها وأنا أدعك كفها البض بأصابعي الغليظة:-

صباح الخير يا أبله .

سرت رعشة في جسدها وسحبت يدها برفق بعد أن علا وجهها الارتباك ورمقتني بنظرات ذات مغزى وراحـت تسأل كل من يقابلها عن الشيء الغريب الذي أصابني لكنهـا

لم تجد أي جواب ينقذها من وحش الحيرة الذي افترسها بـ ـلا رحمة .

بطـل مــن لحـم و دم

لأول مرة يحدث معي هذا فقد تمردت على القصـة الجديدة التي أحاول أن أكتبها و لم تكتف بذلك بل حرضـت بطلها على عصياني وعدم طاعتي فهـددتها بعـدم كتابتهـا وحتى لو كتبتها لن اجعلها ترى النور؛فأنا لن أرسلها إلى أي مجلة أو صحيفة أو حتى أضمها لكتابي الجديد الذي سيصدر قريباً عن إحدى دور النشر الكبيرة في القاهرة ...تآمر معها البطل حتى يدخلاني في دوامة لا مخرج لي منها مـن شـد الأعصاب و التوتر والإرهـاق و التشـتت ...حاولـت أن استميل بطلي لكي يقف بجواري و محاولة تذكيره بأنـه لـم يعرفها إلا من دقائق معدودة بينما يعرفني أنا علـى مـدى العشرات و العشرات من القصص التي لبيت له فيها كل مـا طلبه منى ولم أبخل عليه بشيء...وجدته ينظر لـي نظـرة استحقار واشمئزاز وتركني تنهشـنى الهـلاوس و الأفكـار الشريرة وحتى محاولتي المستميتة والأخيرة لإعادتـه مـرة أخرى لسجن الكلمات و الورق في كتابي الأخير-حيث أنني أعلم تماماً كم يكره الحبس وخاصة لو كان انفرادياً في كتاب

طويل عريض- باءت هذه المحاولة بالفشـل الـذريع حـين هرب مرة أخرى من خلال فتحـة صـغيرة توجـد أسـفل صورتي التي تملأ خلفية الغلاف حيث يتركها الناشر حتـى تكون لكتبه علامة مميزة يعرفها بها القارئ .هكذا كان يقول له عقله الذي حبي على سلم التعليم حتى وصل إلـى السـنة الثانية من المرحلة الابتدائية و سقط بعـدها صـريعاً غيـر مأسوف عليه. بعد أن هرب لم يجد شيئاً يفعله سوى التسـكع على "زهرة البستان " و "الحرية "و "المنظر الجميل" يتسول من أصدقائي الأدباء ثمن لقمته وكوب الشاي لكنهم أعرضوا عنه عندما علموا بما فعله معي ...لم يجد بداً من البحث عنى ؛ فبحث عنى في كل مكان توقع أن يجدني فيه،لكنه لم يجدني ...لم يتسرب اليأس إلى قلبه؛ فمازال هناك مكان واحد فقـط لم يذهب إليه لكي يجدني حتى يعود لأيام العز والنعيم معـي والتي كنت أكافئه فيها كلما ساعدني على إنجاز قصة جديدة ...في "الجريون" ... وجدته أمامي بملابس رثة ووجه متسخ و أظافر طويلة لم يعتن بها منذ أن هرب منى ...لـم أعـره أدنى اهتمام، لكنه كعادته السمجة أخذ يتطفل علـى وطلـب لنفسه زجاجة بيرة على حسابي الخاص وبينما هـو يشـرب

بنهم أخذ يعدد لي الحجج والأعذار حتى يقنعني بما فعله معي أو حتى لماذا فعل هذا كل كلامه كان يقـف عنـد الحافـة الخارجية لأذني التي تلفظه لكي يتناثر في الهـواء المختنـق بدخان رواد (الجريون) الذين لا يكفون عن التدخين... ظـل يراوغني ويراوغني وأنا ثابت على موقفي منه لا أتزحـزح مطلقاً حتى نفد صبره وعلا صوته وعندما هم برفع يده فـي الهواء لكي يهوي بهـا علـى خـدي التـف حولنـا رواد (الجريون) في محاولة لتهدئه الموقف ... صعبت على نفسي جداً وأخذت من بين دموعي التي اغرورقت بها عيناي أعدد خيراتي عليه وبركاتي التي لا تحصى وطلباته الكثيرة التـي لا تنتهي ... فعندما طلب منى أن يحب لم أتوان عن تنفيـذ طلبه فجعلته يحب بإرادته حتى غرق في بحر مـن العسـل والأحلام ولكني اعترف بأنني قسوت عليه قليلاً حيث أننـي جعلت من يحبها لا تحبه لكن لم يكن قصدي من ذلك تعذيبي له أو زيادة أحزانه التي حرقت قلبه ومقلتيه بل كان ظناً منى أن الحب الحقيقي لا يكون إلا إذا اكتوى المحبوب بنار الحب المقدسة واحترق بها دون أن تشعر به المحبوبة وأيضاً حتى لا تحبه البطلة وتنتهي القصة بالنهاية التقليدية التي سأم منها

الناس كثيراً فحاولت من خلال ذلك أن أكسر حلقات المل التي ما أن يخرج الناس منها حتى يدخلوا في غيرها في سلسلة لانهائية من الحلقات وكذلك لأني لا أميل إلى مناصرة بطلات أعمالي فدائماً أحب أن أراهن في محنة بل أزيد المحنة أحكاماً عليهن وأوقعن في مورطات كثيرة وأتلذذ بضغط الظروف والحياة عليهن وأتلذذ أكثر وأكثر حين يصرخن ويولولن ويحاولن الاستنجاد بي للخلاص مما هن فيه لكني دائماً انتشي لهذا الإحساس الرائع أن تستنجد أنثى بي وتحاول أن تلوذ بحضن دافئ لكنى أخذلها والحقيقة أنا لا أعرف لهذا الإحساس تفسيراً محدداً ... هل من قسوة أمي الكثيرة علي وربطها الدائم لي في رجل الترابيزة وسقوطها فوقى بجسدها الضخم وتفجر الدماء من فخذي أثر قرصها المتوالي لي ... لا أعرف ؟!! أم من مدرسة العلوم التي كانت تدرس لي في السنة الثانية من المرحلة الإعدادية وكانت إلى جانب جمالها الملفت للنظر تصر كل يوم على طبع شفاهها الساخنة على خدي المتورم حتى ولو لم يكن في جدولنا أي حصة لها في هذا اليوم وقد تركتني فجأة وماتت دون أن تستأذن منى أو حتى تعطيني قبلة أخيرة أحيا على

ذكراها ما تبقى من عمري بدلاً من ذلك الهوس الذي أصابني عندما كنت أحاول أن أقيس شفا يفي على أثـار شـفا يفهـا المتناثرة في كل مكان على خدودي ... لا أعرف ؟!! أم من البنت الوحيدة التي أحببتها بكل مشاعري البكر التي تولـدت مع بداية التحاقي بالجامعة وباعتها هي بـثمن بخـس جـداً لعدوي اللدود الذي لا أحبه ولا يحبني ؟!! لا أعـرف !! أم تلك المرأة الساقطة التي اصطحبني لها صـديق لـي كـان يرغب أن يصبح قساً حتى يتأكد من رجولتي التي ضجر من كثرة حديثي له عنها وكانت تمارس معنا الجنس بكل عنفوانه وآهاته في الطابق الأول لمنزلها بينما كان زوجها ينام فـي الطابق الثاني ... فقد كنت احتقرها كثيراً وخاصـة بعـد أن علمت أنها احترفت المهنة وتوسعت في نشاطها بعد أن مات زوجها مقهوراً منها ومن أفعالها .

أريد أن أمارس رجولتي ؟

ذكرته أيضاً بتلك المقولة التي صعقتني حينما قالهـا لي فأنا كنت أتصور أنه رجل محافظ ومتدين فقـد حاولـت إغراؤه كثيراً في قصصي السابقة لكنه لم يكن يريد أن يفعل شئ وكان يتعفف على ويترفع على السـقوط فـي مسـتنقع

الرذيلة وكان يعايرني كثيراً بأنه مازال يحافظ علـى نفسـه طاهراً بكراً بينما أنا غارق في بحيرة عميقة جداً ممتلئة بماء كثير من الساقطات التي عرفتهن في حياتي ،وحتى عنـدما حاولت أن أوقعه في الشر بإحدى حيلي القصصـية حتـى يكف عن معايرتي فقد جعلته ينفرد بإحدى الجمـيلات التـي يذهب بياضهن بنور العيون مع العقول وتركته معهـا فـي حجره نومي الخاصة وهي عارية تماماً خاليه من أي شعر في أي منطقة من جسدها حتى رأسها جعلتها تحسرها بغطاء جميل حتى تكون اكثر جمالاً وإغـراء إلا أن الـذي فعلـه أذهلني حقاً فقد كنت أتمني أن تنجح حيلتي لكنه وضع ذيـل جلبابه في فمه وفر هارباً وظل مختفياً عني مده طويلة حتى أخرجته في قصة أخري حيث كان خادماً لراهب ورع يحب الله كثيراً (قصتي سبط الراهب).

أريد أن أمارس رجولتي واختبار فحولتي.

ذكرته أيضاً بتكراره لطلبه الغريب هذا وإلحاحه الشديد علي الذي اضطرني تحت ضغطه الشديد أن ألبي لـه الطلب فأخذته من يده وذهبت به إلى تلك المرأة المحترفـة التي عرفني بها صديقي ذلك الذي كان يريد أن يصبح قسـاً

... تركته معها حتى تعلمه فنون الكار وتدربه علي أسـاليب المعاملة الخاصة للمرأة فألقته لإحدى تلميذاتها بينما تفرغت هي في محاولة يائسة منها لاستعاده الماضي الجميـل كمـا كانت تقول أو حتى استعادة بعضه لكن كل محاولاتها ذهبت سدي عندما تأكدت أنني لن أستطيع أن أشبعها كما كنت افعل سابقاً....

فرغ من سكب ما تبقي من الزجاجة التي طلبها منـذ قليل في جوفه ثم تجشأ في وجهي برائحة كريهـة ولمعـت عينيه ببريق غريب وقال لي:-

اطلب لي زجاجه أخري.

طلبتها له دون مناقشة وبعد أن أخذها من النـادل شرب جرعة طويلة ثم عاد يقول لي:-

لا تعرف وقتها أو حتى بعدها روعة الإحساس الذي شعرت به... فوقتها عرفت وعن يقين بالغ بأنني رجل وليس كذلك بل من الممكن أن تتمناه أي أنثى ... فأنت دائماً كنـت تحبسني في قصص الحب والرومانسية والأحلام والتهويمات والخيال والعالم الروحي ... يا آه ... كم كنت قاسياً على يـا إلهي الخاص. بالفعل كان عتابه في محله فقد كنت اعتقد أن

الفن يجب أن يبتعد عن الغرائز وأثارتها ويجـب أن يسـمو بالإنسان إلى أعلى مراتب الشفافية والنقاء والطهر أيقظنـي من نوبة التيه التي تهاجمني كل فترة وضحك ضحكة عاليـةً أثارت فضول رواد (الجريون) واخذ يعدد إلى هـو الأخـر خيراته على وبركاته التي لا تحصى وطلباتي الكثيرة التي لا تنتهي ... فقد ذكرني بالفترة التي أعقبت تجربتـه لرجولتـه وفحولته فقد كانت من أخصب فترات حياتي الإبداعية وكان طيعاً لي فيها جداً فكتبت العديد من القصص التي حصـدت الكثير من إعجاب النقاد على مختلف مشـاربهم وحصـدت أيضاً الكثير من الجوائز التي حركت قليلاً الجمـود المـادي الذي كنت أعاني منه في هذه الفترة وكذلك أعادت لي الثقـة التي افتقدتها لكفري بالكتابة وجدواها في مجتمع يغرق فـي مستنقع الأمية الموحش .. لكزته في كتفه الأيسر حتى يفيـق ويسمعني جيداً :

أنت لا تستحق أن تكون بطلي بعد اليـوم وسـوف أقتلك في أقرب قصة سأكتبها ولن أقيمك مرة أخرى ولتذهب إلى الجحيم.

جحظت عيناه وتابع كلامي باهتمام شـديد فحياتـه أصبحت مهددة وتقف على حافة سن قلمي... أن شـئت أن أفعل ما هددته به... هو يعلم تماماً بأني أستطيع أن أفعل ذلك بل و أكثر من ذلك أيضا أستطيع أن أفعله.

أن تقارن نفسك بي وأن تضعني معـك علـى كفـة ميزان واحد فهذا المستحيل بعينه من أنت ؟

أنا منك .... جزء منك .... من تكوينـك ... مـن وجودك.

لكني لست دنساً ... وأنت دنست نفسك .

أفق ... وتذكر ما قلته لك منذ قليل.

لقد تبت إلى الله وعدت إلى تعاليمه وأنا واثـق أنـه سيقبل توبتي.

وأنا أيضاً سوف أتوب إليك وأرجو أن تقبل تـوبتي ... فلا تنسى أنك أنت الذي فعلت بي ذلك.

كانت رغبتك وكان إلحاحك الغبي .

لكنك تعلم أكثر منى، وأنا مهما فعلت لن أفعل إلا ما تأمرني به وتريده لي أليست مقاديري في يدك أني مصير لك ولسـ ـ ـت مخيـ ـ ـراً، فأنـ ـ ـت ربـ ـ ـي وإلهـ ـ ـي.

وقعت كلماته الأخيرة في أذني كأنها قنابل عنقوديـة أخـذت تتفجر داخلي حتى حولتني إلى شـظايا متنـاثرة لا تصـلح لتشكيل إنسان مرة أخرى ... لا أعرف لماذا بعد أن طلبـت منه أن يشرب جرعة أخرى من زجاجة البيـرة المركونـة أمامه شعرت بالذنب ؟ فما كان يجب على أن أطاوعه فـي رغباته الجامحة وكان على أن أوجهه وأقومه وأعود به إلى الطريق القويم بعد أن شط عنه ... وحاولت أن أكفـر عـن خطيئتي العظيمة هذه . قفزت إلى ذهنـي فجـأة فكـرة أن أزوجه وأجعله يعيش في الحلال بدلاً من حياة الليـل التـي أدمنها هذه وبالفعل في أقرب فكرة قصة ألحت على جعلتـه فيها يتقرب من إحدى الفتيات الجميلات التي أحبتـه كثيـراً وتمنت أن يكون فارسها المغوار زوج المستقبل لكنـي لـم أعرف حقيقة مشاعره ناحيتها؟! ولم أرد أن أعير هذا الشأن اهتماماً وقلت أن حاله سوف (ينصلح) بعد الزواج فعجلـت بإتمام مراسم الزفاف حتى تهدأ ثورة شهوته التـي أشـعلت جسده كله في إطار شرعي حلله الله ويهـدأ أيضـاً وخـز ضميري الحامي الذي كان يؤنبني باستمرار لأني أورده هذا المورد من التهلكة والضياع في الدنيا والآخرة ... أثرت بعد

ذلك أن أبتعد عنه حتى ينعم بحياته الجديدة ولكني كنت بـين فترة وأخرى أطل عليه من كوة وجودي المطلة عليه حتـى أطمئن على سعادته وراحته وظللت بعيداً عنه حتى أنني لـم أشاركه احتفاله الخاص عندما أنجب أبنته الجميلـة "مـريم" حتى لا أعكر صفو حياته التي أتمنى أن يحياها فـي أمـن وسلام؟ لكني لا أعرف لماذا تبدلت خصاله وأصبحت سـيئة جداً ؟ فكان فظاً وقاسياً مع زوجته، وفي كـل مـرة كانـت تأتيني تشكو منه ومن سوء معاملته لها كنت ألقي بالمسئولية عليها وأنها يجب أن تفهمه وتحتمل من أجل حبها حتـى لا ينهار فوق رأسها ... لم تكن تعلم موقفي القديم من النسـاء ولكنها كانت تتعجب كثيراً حينما ترى انه بيدي خلاصها مما هي فيه وجعلها تنعم معه بحياة هادئة تربو إليهـا وتتمناهـا ولكنى لا أفعل ... امتلأ خزان وجدانها بالكثير من الإهانات والإساءات عن أخره حتى فاض ولم يعد في قلبها أدني حب له وقررت الهروب حيث وجدت جثتها هي وابنتها الجميلـة "مريم" عائمة فوق صفحة النيل أمام مبنى الإذاعة والتلفزيون.

شرب جرعة جديدة من زجاجة البيـرة المركونـة أمامـه حدجنى بنظرة قاسية :-...

أريد أن أحب وأريد أن أكون محبوباً ؟ لماذا تضعني دائماً في موقف المهزوم ولا تكمل لي قصة ؟ فمن أحبها ... لماذا تفعل معي ذلك ؟ حتى من زوجتني إياها لم أشعر معها بطعم الحب والسعادة حتى رحلت هي وابنتها وكل ما تغرقني فيه من مشاعر وأحاسيس زيف في زيف ... لماذا كل هذا ؟

بعد هذه الجملة الحواريـة الطويلـة والتي لا أستطيع أن اكتبها في أي قصة من قصصي حتى لا يهاجمني النقاد الذين كثيراً ما هاجموني أو يمل منى القـراء ونادراً ما حدث منهم هذا قلت له :

وماذا تريد منى الآن ؟

لقد وقعت أنت على صيد ثمين أجعله لي.

أتسميه صيداً ؟

أنها أنثى بارعة الجمال وملفوفة القوام و.....

هل هذا كل ما يعجبك في الأنثى جمالها وقوامها ؟

لا ....

وماذا يعجبك أيضاً ؟

طموحها وأخلاقها وتدينها وفوق كل هذا قلب أبيض كبير يحتويني.

ما كل هذه الرومانسية وهذا الإحساس المرهف هـل أترك لك القلم واجلس أن في بيتنـ ـا ؟

العفو لم أقصد ذلك.

هل فكرت مرة أن نبدل أدوارنا بمعنى أن تكون أنت المؤلف وأكون أنا البطل ؟

ولما أفكر في ذلك وأنا راضى عن نفسي تماماً فأنـا بطلك المفضل وأنت تعطيني كل شئ . .. كل شئ ... فلماذا التعب والإرهاق والدخول في دوامات الأفكار التي لا تنتهي ؟

أتعجب كثيراً من تلك الحكمة الرائعة التـي هبطـت عليك فجأة ... ومن هذه الفتاة التي أشعلت جذوة الحب فـي قلبك ؟

أنا لم أقل لك أنني أحبها .

لا تغضب يا سيدي ... من هي هـذه الفتـاة التـي حركت مشاعرك بهذا الشكل ؟

أنت تعرفها جيداً ... ألم أقل لك أنك وقعـت علـى صيد ثمين ؟

مـ ـن ؟

قبل أن يجيب شرب جرعة أخرى من زجاجة البيرة التي قاربت على الانتهاء ثم قـ ـ ـال:-

أنها زميلتك في العمل .

باستعجال وتلهف :-

من تقصد تحديداً ؟ قل بسرعة .

رانيـ ـا.

أفلتت الكلمة مني رغما عني:-

يا ابن الكلاب.

الله يسامحك.

ماذا تقول ؟

ما سمعته هو الذي قلته.

سوف اعتبر نفسي أنني لم أسمع شيئاً.

لكنك سمعت وغضبت مني لأجلها .

إنها مخطوبة وسوف تتزوج قريباً ... هل تريـد أن أهدم حياتها من أجلك ومن أجل نزواتك المرضية هذه ؟

إنها لا تحب خطيبها .

أنا أعلم منك بها ... فعلى الرغم من أنها لا تحـب خطيبها لكنها رتبت نفسها على الحياة معه وسوف تواصـل معه رحلة عمرها بحلوها ومرها.

طالما أن الأمر هكذا ... لماذا كنت تحكي لي عنهـا بأنها تعيش في جحيم من جراء تجاربها العاطفيـة الكثيـرة والفاشلة أيضاً .. وكنت دائماً تقول لي أنه من المسـتحيل أن تعيش مع خطيبها هذا الذي لا تحبه وتعود الآن تقول لي أنها رتبت نفسها على الحياة معه.

هكذا ببساطة تفشي السر ولا تستطيع أن تحتفظ بـه حتى لنفسك ... إياك أن تكون قد تحدثت مع أي أحد بشـأنها وبشأن حكايتها .

لا.

سوف تجعلني أعود إلى قراري القديم وأقتلك وارتاح منك ومن سماجتك التي زادت عن حدها كثيراً أو أضـعف الإيمان أتبرأ منك وأودعك أحد الملاجئ .

لماذا كل هذه الثورة ... هدأ من روعـك ... هـل تحبها ؟

أحب ... أحب ماذا ؟ وأحب من ؟

تحبها هي .... لقد لاحظت في إحدى مرات جلوسك معها بريق الحب يلمع في عينيك .

هذا وهم ولكي أؤكد لك أن ذلك الإحساس إحساسـا واهماً سوف أجعلك تجلس معها بمفردك لكني لا أعدك بأنني سوف أجعلها تحبك فهي ليست من أبطال قصصي كما أنهـا خارج حدود طاقتي الإبداعية .

أفعل ذلك واترك الباقي على .

أخرجت من حقيبتي ورقة وقلم وشردت قليلاً حتـى عثرت على فكرة الموقف الذي من الممكن أن يكوناً معاً فيه دون أن يشك أحد من حولهما في طبيعة العلاقة بينهما حتـى لا تحرج هي من زملائها في المدرسة ،وعندما شرعت فـي كتابة الموقف كان هو – بطلي – انتهى من إيداع أخر قطرة من زجاجة البيرة في فمه الواسع اكتشفت وقتها أنني انتهيت لتوى من كتابة قصتي الجديدة.

عائـد من الحيـــاة

قرر دون سابق إنـذار أو تفكيـر أن يخـوض التجربة بكل مراحلها ... لم يشأ أن يخبر أحد من معارفه أو أصدقائه أو أقربائه. حتى زوجته التي لم يخف عنها شيئاً لم يشأ أن يخبرها عما انتوى على ما يريد أن يقوم به ... فـي نهار أغسطس قائظ ... قطع الطريق الطويل المترب تحـت الشمس اللافحة والتراب الساخن ... حافياً كان ... هكذا أراد أن يكون عند ذهابه لشراء الأقمشة اللازمة لذلك ... نفـس الطريق المؤدي للجبانات والذي قطعه مراراً وتكراراً كلمـا مات له صديق أو قريب أو عزيز أو حتى شـخص يعرفـه لمجرد المعرفة ... وصل إلى محل الأقمشة ... لم يشـأ أن يبدد الوقت في تفسير مقنع لنظرات بائع الأقمشة التي كادت أن تنهش قدميه العاريتين ...ولأنه يجهل الكثير في مثل هذه الأمور فقد طلب من البائع أن يقص له قطعة قمـاش تكفـي لتكفين شخص في مثل سنة وحجمه ... عنـدما تقـدم لـه صاحب محل الأقمشة بواجب العزاء طفرت دمعة ساخنة من

عينيه وعندما فاجئه بائع الأقمشة بأن المتوفى قد يكون قريباً جداً من نفسه علق في عجل من بين دموعه المنهمرة :-

جداً ... جداً.

أخذ الأقمشة اللازمة وتوجه بعـدها إلـى "متـري" خياطه المفضل وطلب منه أن يقوم بتفصـيل الكفـن عليـه تماماً. أندهش "متري" من طلبه لأنه يعرفه جيـداً ويعـرف جميع أفراد عائلته وإنه يعلم تماماً أن أحداً لم يمت منهم حتى لحظة مجيئه إليه قال له:-

لن أستطيع أن أقول لك البقية في حياتك.

ولم لا تقول ؟!!!

لأنه لا توجد أي حالة وفاة في عائلتكم.

ومن أدراك؟

تعجب "متري" من كلامه ولم يشأ أن يأخذ منـه أجر التفصيل. وعندما هم بالرحيل ألقى "متري" خلفه بكلمات التعزية الحارة والأمنيات بإغداق الله رحمته الواسـعة علـى المتوفى ... فتح باب منزله خلسة حتى لا يوقظ أحداً وأخـذ يتسحب على أطراف أصابعه حتى وصل إلـى الحمـام ... حلق ذقنه جيداً وبعدها أخذ دشاً ساخناً ... ارتـدي الأقمشـة

البيضاء ... وقف طويلاً أمام منظره المدهش المنعكس أمامه على المرأة المشروخة إثر إحدى المشاحنات النـادرة التـي كانت تحدث بينه وبين زوجته التي يحبها... تمنى كثيـراً أن يرى هذا المنظر... كانت تدفعه رغبة دفينـة داخلـه دفعـاً لذلك...هجمت على جسده رعشة غريبة وشعر بـأن جسـده أخذ يتخلص من شحومه الكثيرة شيئاً فشيئاً حتى خف وزنـه جداً وأخذ يحلق في الجو ويطير في سماوات بيضاء لا نهاية لها، ويقابل كائنات نقية كالبلور لا وجه لها ولا أقدام بل كل جسدها أجنحة تطير بها ... عندما حط على الأرض ثانيـة أغرق جسده بعطره المفضل والذي كانت زوجته تشتريه لـه دائماً في احتفالات عيد ميلاده ... بعـدها تمـدد بملابسـه الجديدة إلى جوار زوجته ... في الصباح حاولـت زوجتـه كعادتها إيقاظه لكي يذهب إلى عمله لكن ... جسده البارد لم يستجب لمحاولاتها المتكررة .

بإرادتـي أغـادر جسـدي

تركت جسدي المسجي على سريري الحديـدي ذي الأعمدة وبعدت عنه خطوات ليسـت بقليلـة ، عقـدت ساعدي خلف ظهري وأخذت أتأمله بهدوء ... وفـي هـذه اللحظة تماماً كنت في أمس الحاجة إلى الهدوء وتمنيـت أن يختفي كل العالم خلفي حتى أستطيع أن أرانـي وأتفحصـني بدقة ، خلف الجفون المسبلة ترقد آلاف النظـرات الشـرهة التي التهمت الكثير والكثير من نهود البنات وأفخـاذهن ... على الشفاه المضمومة أثار قبلات لكثيرات قـد لا أعـرف معظمهن الآن وقد تكون هناك آثار لقبلات من البنت وأمهـا أيضا ... شفاه نساء كثيرات كنت أمرح عليها باسم الربـاط المقدس للعذارى وباسم اللوعة والشـوق للنسـاء الأرامـل والمطلقات ،حتى هؤلاء اللائى كن ينفرن من رائحـة أفـواه أزواجهن،وكذلك النساء اللاتي تركهن أزواجهن ليحفظوا لهن ولأولادهن مستقبلاً أعظم ... وبقليل من تدقيق النظر أستطيع أن أرى بسهولة أثار أخر قبلة ارتشفتها من رحيـق البنـت

"هبه" السانجة التي تركتني منذ خمسة دقائق فقـط قبـل أن تطير روحي من جسدي ... أتأمل بكبرياء شاربي الكث الذي كثيراً ما جرت عليه أيدي النساء اللائى كن يقلن لي :-

شاربك يدغدغ مشاعرنا ويجعل حصان الشهوة يتمرد على مربطه داخل ذواتنا.

كنت أضحك كثيراً لهذا وكنت كلمـا أردت أن استمتع بأكبر قدر من القبلة أداعب شفاه المرأة بأطراف شعر شاربي دون أن أجعل شفاهها تلمسه، كانت تحب هذا كثيـراً جارتنا السمينة "أم محمد" والتي كانت تقول:-

إن هذا يعذبني كثيراً.

وبعد أن تطلق ضحكة داعرة تقول لي:-

ولكنه عذاب لذيذ يا مضروب .

أقف كثيراً أمام أنفي التي استنشقت روائح كثيرة من اللائى كنت ألقي بجسدي هذا في أحضانهن ولكنها - أي أنفي- لم تنس أبداً رائحة "أم جلال" الكريهة التي كانت تتاجر في السمن البلدي وكانت كلما باعت رطلاً تمسح يدها فـي ملابسها ،ولم أكن ألجأ إليها إلا عندما تستبد بي الرغبـة ولا أجد غيرها يشبع شبقي واعتقد أيضاً أنها لـم تـنس رائحـة

حضن البنت "نيفين" التي كانت تهرول إلى كلما عادت مـن الخارج فسفريات نيفين كثيرة جداً حيث أنها وحيدة أبيها بعد رحيل أمها وأخوتها في حادث مشهور ، كما أن أبيها يعمـل في الأمم المتحدة وكانت "نيفين" في كل مرة تصر علـى أن تعرفني نوع البارفان الذي اشترته خصيصاً لي وكانت تقول لي أسماء لماركات صعبة جداً على وعلى أذني ومرة تقـول لي أن هذا البارفان من باريس وأخر من كندا وأخـر مـن نيويورك ولكنى اعتقد انه مازالت رائحـة البارفـان الـذي أحضرته لي من أحد متاجر بيروت عالقة بأنفي حتى الآن.

أحاول أن أضع أصابعي داخل التجويف الداخلي لأذني علها تكف عن التلصص على الآخرين فكثيراً ما كنت أتلصص على أهات وتأوهات زوجة صديقي الجميلة الـذي أواني في بيته بعد أن طردني أبى ذات ليلة ... وكثيرا مـا تمنيت أن تكون هذه الآهات والتأوهـات لـي ولكـن كـل محاولاتي التي درت بها حول زوجة صديقي تحطمت علـى صخرة نظرة الازدراء التي كانت تلقيني بها . وكانت كلمـا انفردت بها في غيبة صديقي كانت تلقي لي بالطعم للنيل منها والتمتع بآهاتها وتأوهاتها وبعد أن أبلع الطعم وأبلـغ معهـا

الأمان تخرج لسانها وتكيد لي ولكني لا أعرف سبباً واحـداً لعدم إخبارها لصديقي بكل ما أفعله معها؟ مما كان يعطينـي الدافع لأن استمر في محاولاتي معها.

أقترب من جسدي قليلاً وأركع على ركبتـي حتـى أصل إلى ثديي الأيسر وأحاول أن أضع الحلمة الصغيرة في فمي فكثيراً ما كانت تفعل ذلك البنـت "دلال" تلميـذتي فـي المدرسة الثانوية حينما كنت أحاول مساعدتها في الـدروس التي تستعصي عليها .... وكلما كنت أحاول أن أمر بيـدي على مناطق حساسة بها كانت ترفع يدي وتنظر لي بغرابـة وتقول :-

عارف يا أستاذ أنا فطمت وأنا عند خمس سنوات !

تجحظ عيناي وأعرف وقتها لماذا كانـت دائمـاً تجري على زرا ير قميصي لتفكها ثم تبدأ مـداعبتها لثـديي الأيسر بشراهة غريبة .

بطني المنتفخة مازالت تطلق أنات الجوع فمنـذ أن قطعت "جمالات" قدميها عن حجرتي وأنـا لأجـد لقمـة أسكت بها أنات بطني ... فهي كثيرا ما كانت تحمـل لـي

الكثير والكثير من خيرات زوجها الذي يعمل بالعراق وكانت تقول :-

أنت محتاج إلى غذاء "كويس" حتى تقوى عضـلاتك وتضمني إليك بقوة لأنه لا يملأ عيني سوى الراجل الجامد .

منذ أن عاد زوجها من الخارج لم أعد أراها ولم تعد بطني تستقبل طعامها الشهي كما أنني لا أستطيع أن اشتري طعاماً مثله حيث أن مرتبي متوقف عـن الصـرف لحـين الانتهاء من تحقيقات الشئون القانونية في واقعة ضبطتني فيها "الناظر" مع إحدى تلميذات المدرسة أسفل سلم مبنى الصـف الثالث وأنا أحاول فك زرار بلوزتها البيضاء .لا أعرف لماذا كلما نظرت إلى الجزء الأسفل من جسدي أشـعر بالغثيـان؟ وأن مرارة ما تملأ فمي ؛فخطايا هذا الجزء أعظـم وأعظـم بكثير بل أنه قام بكسر الوصية بالفعل لا بالقول «من نظـر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه» لم يعد للقلب وجود بل الوجود كل الوجود للجزء الأسفل وإن استطعت أن أغفر ويغفر العلي كل خطايا هذا الجزء إلا أنني وانه لن نسـتطيع أن نغفر ما حدث مع إحدى قريباتي تمت بصلة نسب لأخـي الكبير والذين يقطنون القاهرة؛ فكانوا كلما هل عليهم الصيف

هرعوا إلينا ليستنجدوا بالهدوء والراحة والشـعور بالـدفء الأسري الذي تمزقه القاهرة بوحشيتها ،ويسـتمتعوا أيضـا بهواء قريتنا النقي، لا أستطيع مطلقاً أن أنسى ذلك المشـهد الذي نُحت في ذاكرتي من فرط هوله... كان ليلاً ونسـمات الصيف تداعب خصلاتها المتناثرة على جبينها اللامع وحينما رأتني أحدق فيها بشدة قالت لي بعد أن لكزتني فـي كتفـي بيدها الطرية :-

أريد أن أرى الأرانب التي تربيها أمك فوق السـطح فأنا أحبها كثيراً وأحب اللعب معها.

لم أجب وقتها ولكنني فور انتهائها مـن الكـلام سحبتها من يدها خلفي وصعدت إلى أعلى... فرحت كثيـراً بالأرانب وهي تجري في كل مكان في فرح وبراءة وسعادة وقالت لي :-

ليتنا أرانب .

لماذا ؟ !!

ألا ترى مساحة البراءة التي تملأ وجهها؟

وقتها شعرت بقشور لزجة تسقط من عيني وحاولت أن أري ما تقول لكني لم أستطيع. صحوت على رنـات

ضحكاتها التي ملأت أذني وهي تجري خلف أرنبـة جميلـة تريد اللحاق والإمساك بها .

هل تعرفين اسم هذه الأرنبة ؟ أنها فيفيان فغرت فاها ولم تنطق ......

لا تتعجبي وإن كنت صادفت في حياتك شـيئاً مـا يشعرك بلذة ما ونشوة ما ويمردك على نفسك وعلى واقعـك فإنك سوف تفهمين ما أقصده.

تورد خداها ونكست رأسها في الأرض لتـداري مسحة الحزن التي كست عينيها وابتسـمت ابتسـامة حـال حياؤها دون أن يفضح إحساساً ما يتملكها .تركتني وأخـذت تواصل مطاردة الأرنبة لا أعـرف لمـاذا جريـت خلفهـا ؟اقتربت منها أكثر وأكثر حتى تعثـرت فـي إنـاء شـرب الأرانب الفخاري وسقطت على الأرض سقطت فوقها تمامـاً ... حاولت الفرار من اسـفلي ولكـن أنفاسـها المتلاحقـة وصدرها الأبيض الناهد والذي طل على فجـأة مـن فتحـة بلوزتها جعلني أقبض عليها بكل قوتي والتهام شفاهها اللذيذة ... لم أشعر وهي تجذبني ناحيتها بقوة حتى كادت أن تحطم ضلوعي ... لم أشعر بها وهي تحاول أن تقبل كل شئ فـي

وجهي ... ولكني أفقت على صوتها المذعور وهي تحـاول أن تمسح نقطتي دماء لوثت ملابسها الداخلية. أزاحتني بعيداً عنها بعد أن رمتني بنظرة نارية كادت أن تحرقني :-

أنت أقسى مما تصورت ... لم أكن أتصور يوماً أن ذبحي سوف يكون على يديك أنت. أدركت وقتها أن البنـت كانت تحبني كثيراً وكانت تحلم باليوم الذي تأتى فيه إلى هنا حتى تراني وتشبع شوقها الغامر لي؛ فكثيـراً مـا حـدثت صديقتها عنى وعن أحلامي و طموحاتي، وما كان صعودها إلى السطح لكي ترى الأرانب بل هي حجـة تحـاول بهـا الخروج من مأزق الحرج حتى انفرد بهـا وتنفـرد بـي... لنتحدث معاً بمفردنا أطول وقت ممكن وغيرها من الحجـج التي كانت تسوقها حتى نكون معاً... كل هذا وأنا لا افهم ولا حتى حاولت فهم التلميحات والإشارات التي ترميني بها من حين لآخر .لعنت نفسي كثيراً وتمنيت أن أجهز علي جسدي المسجي أمامي ولكني تراجعت في أخر لحظة ..... أخـذت شمعتين كنت في سرقتهما من مزار دير الأنبا (برسوم) حيث زرته لكي أتمسح فيه وفي بركاته ليغفر الله لي أخر خطاياي .... وضعت الشمعتين كل واحدة علي جانب مـن جـانبي

رأسي حيث أضيء الوجه كاملا وتناولت مسحوقاً مجهـول الماركة و الصنعة ..حاولت أن اغسل جسدي به لكنني فشلت .... كما فشلت من قبل في إشعال النار في هذا الجسد البارد ...حاولت أن ابكي و لكن الدموع لم تطـاوعني ... ألقيـت نظرة أخيرة علي جسدي وهرولت إلـى الخـارج بعـد أن صفعت الباب خلفي الذي تناثر إلى أجزاء وذهبت ابحث عنى علني أجدني يوماً.

اللحـــاد

بعد أن رش الماء فوق سقف المقبرة التي سكنت لتوها تلفت حوله يتأمل وجوه المعزين والمعزيات وتتسـرب إلى أذنيه كلمات لم يمل من سماعها طوال سـنوات كثيـرة قضاها في هذا المكان ... كان يجري هارباً مـن مـاذا ؟لا يدري ...!! نفس الموقف ... منذ زمن ...وتكاد تكون نفس الوجوه ولكن ليس نفس المكان ... الجسـد المسـجي لأمـه وصورة أبيه القاسية لم تبرح مخيلته بعد. لم يكـن يعـرف وقتها هل يحزن على فراق أمه التي أحبها كثيراً ؟! أم يفرح لا نعتاقها من سجن أبيه وسوطه وتعذيبـه الكثيـر لهـا ... اختلطت مشاعره ؛فلم يتبق شيئاً سوى صورة ملائكية لأمـه بوجهها النوراني وجناحين أكثر بياضاً يكاد من ينظر إليهـا أن يفقد بصره .. أمنية متجددة تداعب خيالـه بعـد أن أودع الجسد البض لفتاة شابه ماتت منتحرة حزناً على هجر حبيب لها .. هكذا فسر الكلام الذي وصل إلى أذنيـه مـن نميمـة المعزين والمعزيات المعتادة .. تعود هو على ذلك منـذ أن ذاق طعم الجسد البارد مع زوجة أبيه التي فارقت الحياة بعد

تعذيبه سنوات خمس، وعندما ذهب أبوه لكي يعد "خارجتها" انتقم منها بذلك الفعل الذي أدخل على نفسه البهجة حيث أنها أول مرة ينتصر فيها عليها، وحتى لو كانت بلا إرادة وبـلا نفس يتأرجح به صدرها الرجراج الذي كاد أن يخنقـه فـي إحدى مرات هبوطها عليه لتضربه بعنف مثلها اعتادت منـذ أن وطئت قدمها منزلهم لتقهرهم وتقهر أمهم المستسـلمة ... ماتت أمه في إحدى مرات تعذيب أبيه لهـا ولكـن قبـل أن تسكن العالم الآخر لم تنس أن تلقى بأخر حفنـة كـرم فـي جعبتها لإنقاذ القاسي من حبل المشنقة؛فقد أدلت في سـجلات التحقيق الرسمي بأن يديها المرتعشة تسببت في سقوط الماء الساخن على جسدها ولم تكن يدها بل يد القاسي الـذي لـم يرحهما يوماً، وهي رحمته كل الأيام .وقتها نظر إليها وكيل النيابة -المسئول عن التحقيق في الحادث- بإعجـاب شـديد لأنه كان يعلم حقيقة الأب القاسي من كثرة مخالفاته القانونية التي تراكمت أمامه وكان هو المحقق الوحيد فيها ...أرخـت محاضر البوليس لطبيعة هذه العلاقة الغريبة بين أمه وأبيـه ... وفي آخر فصول المأساة ربت وكيل النيابة على يد أمـه الحانية وقال لها وهو يودعها:-

يا أمي نامي الآن في سلام فلن يزعجك أحـد بعـد الآن.

تحققت نبوءة وكيل النيابة سـريعاً فبمجـرد أن أوصد باب حجرتها في المستشفى خلفه حتى اسـتقلت روح أمه أول مكوك صاعد إلى السماء لتسكن الراحة العظمى ... بكاها الجميع هو وأخوته وكثير من الجيران الـذين كـانوا يتألمون لها إلا واحداً فقط لم يشأ أن يذرف عليها دمعة واحدة من مقلتي أبيه المتحجرة بل كانت هناك لمحة فرح تتراقص بين حدقتيه ... انتبه على صوت أخر المعزين وهو يصـافح أهل المتوفاة ويسكب في أذنهم عظيم أسفه وخالص تعازيـه للفقيدة الشابة ... ضحك في داخله فلم يكن هناك شـئ ذات أهمية في حياته بعد رحيل أمه ... عاد حلم مضاجعة المتوفاة يراوده من جديد وخاصة أن عزرائيل ضن عليه لفترة طويلة بمثل هذا الجسد الأبيض الممشوق لدرجة أنه ذات مرة حاول أن يطفئ ذلك اللهب الذي يشتعل داخل جسده حلما تم دفـن أنثى مع عجوز في الثمانين من عمرها ... النهار قارب على الرحيل من هذه الدنيا والليل يزحف علـى أطـراف قدميـه ليغرق المقابر في سواده القاتم ... تتابعت ضربات يد الرجل

العجوز الواهنة على كتفه وسمع صوته الواهن حينمـا قـال له:-

أدخل الآن استرح قليلاً لربما يأتينا طارئ ... وتذكر دائماً أننا لابد أن نكون جاهزين دائماً ؛ فإكرام الميت دفنه.

نظر إلى الرجـل العجـوز / الحـاني الـذي احتضنه ذات يوم وأوجد له المأوى ولقمة العيش .ذلك الشيخ الذي أقعدته الشيخوخة والمرض وجعلته غير قـادر علـى مواصلة عمله الذي يحبه فصار له الذراع الأيمن في كل شئ .. أكتفي بهذه النظرة فقط ولم يشأ أن يحدثه في شئ . فـي الصباح الباكر من كل يوم (يزغده) أبوه في صدره بمؤخرة مقود العربة "الكارو" التي يمتلكها .... يستيقظ وبقايا النـوم مازالت عالقة بأهداب عينيه... فمه يعلن عن اعتراضه بكثرة التثاؤب ... يحاول من بين لعناته الكثير التي يصـبها علـى أبيه أن يطعم الحمار ويسقيه ويضعه في المكان المخصـص له في مقدمة العربة ممنياً نفسه بالعودة سريعاً لاستكمال نومه ... يخرج بالعربة إلى زحـام الشـوارع ولعنـات سـائقي السيارات ولعنات بعض الزبائن عندما يطلب أجرته ويصـر عليها و تكون أزيد مما يقدرونه هم كمقابل لعمله الشـاق لا

يرتاح إلا عندما يطالع وجه عم " نادي أبو موسى" صـاحب مطعم الفلافل الذي يبتاع منه رغيفاً وقرصين من الطعميـة الساخنة يفركهما داخل الرغيف ثم يلتهمه في سرعة عجيبـة بعد ذلك يذهب إلى تعريشة "أم رجب" يحتسى كوباً من الشاي المغلي ومعه يدخن "الجوزة" في استمتاع غريب ثـم يمـدد جسده الواهن ساعة العصرية فوق عربته التي يركنها أسـفل إحدى الأشجار القريبة من مؤسسة بيع السلع الغذائية بالجملة ..يظل نائماً حتى يوقظه أحد الزبائن سمجي الطلعة لكي يقوم بتوصيل طلباته إلى المكان الذي يريده...بعد ذلك يعود إلـى المنزل ... يحاول أن يودع شقاء اليـوم وتعبـه فـي قلـب "الطشت" المليء بالماء الدافئ لكن يد أبيه المعروفـة تفسـد عليه إتمام طقوسه اليومية المقدسة،كذلك قلة حمد أبوه لربنـا ولخيره الذي رزقه به ؛فأبيه دائم السؤال عن النقود وكم جمع منها... وكم انفق... ويا ويله لو أخبر أبيه أحد أنه ضـبطه في مطعم "على أبو هاشم" يأكـل اللحمـة أو حتـى يأكـل خضاراً(قرديحى) فقط ... يكون يومـه أسـود مـن قـرن الخروب .... بعد أن يأخذ دش أبوه الساخن يجده فجأة يهزه

من كتفه بعد أن يشم رائحة فمه الغارق في دخان "الجـوزة" ويقول له :-

ولا يهمك .... أنني أريدك رجلاً .

يسمع كلمات أبيه على استحياء ثم يـذهب لكـي يلعب قليلاً مع أقرانه في الشارع لكن لا يلبث أن يجلد صوت أبيه أذنيه لكي يحثه على ضرورة نومه في الحال حتى يستعد للعمل في اليوم التالي .. اقترب منه رجـل مـن أصـحاب الجنازة ومد يده له بورقة مالية لمع طرفها في عينيه قبل أن يطويها في "سيالته" دعا لصاحب العزاء بطيلة العمر والبقية في حياته وحياة أولاده ... كلمات تدرب عليها كثيراً وحفظها جيداً ... نظر إليه الرجل الوقور نظرات طويلة ثم أنصرف ومعه باقي المعزين. دخل فرحاً للرجل العجوز يـزف لـه بشرى حصوله على مبلغ كبير من(البيـه)، وأنهمـا سـوف يشتريا اللحمة والخضار وقليل من النبيذ الـذي يفضـله ... ابتسم في وجهه الرجل كعادته وكان ينظر له نظـرات ذات معنى لديه ويقول له :-

ربنا يهديك ويصلح لك الحال.

يتعجب من كلمات العجوز ويقول بصوت يكـاد يكون مسموعاً :-

يا تُرى ما الذي لا يعجبك فـي حتـى تـدعو لـي بالهداية؟

يرد عليه الشيخ العجوز ويقول له كلماته المعتادة:-

الذي في النفوس لا يعلمه إلا الله يا ابني، ومهنتنا هذه علمتنا أنه لا يوجد إلا حقيقة واحدة فقط في هذا الكون الزائل هي الموت ... الموت .... هنا الصدق الحقيقي يا ولدي.

لماذا دائماً تقول لي هذا الكلام يا ... يا أبي ؟

يرمقه الشيخ العجوز بنظرة من نظراته الحادة التـي لا يستطيع أن يفهم منها شيئاً. يخرج مفكراً في كلام الشيخ له والذي لا يمل من قوله له وتكراره على أذنه ويجعله يعـدد الأسباب والاحتمالات التي تجعل الشيخ يقول له هذا الكلام .

هل من الممكن أن يكون قد رآني مرة وأنا ... ؟

استبعد هذا الاحتمال فهو لا يقوم بفعلته إلا بعـد أن يغط الشيخ في نومه العميق؛ فكيف لـه أن يـراه؟ اسـتراح أخيراً حين أهتدي إلى أن ما يقوله الشيخ مجرد حكمة علمته له طبيعة المهنة وطول السنين التي عاشها فيها. بعدها ذهب

إلي السوق لكي يشتري طعامه المفضـل .علـى السـجادة الممزقة كانت نومته المفضلة دائماً فهذا أفضل مكـان ينـام عليه في البيت بعد الفراش الناعم المخصص لأبيه وزوجتـه .. فهو أفضل من أخوته الذين يفترشون الأرض فـي أحـد أركان الحجرة الوحيدة التي هي كل منزلهم حتى الغطاء كان ينعم به هو عن باقي أخوته ... يفرح كثيراً لهـذه المقارنـة التي تأتي دائماً في صالحه .كان يبرر كل هذه المزايا التـي يحظى بها بأنه رجل البيت وهو الذي ينفق عليه وليس أبيـه السكير /المدمن لذا يجب أن يستريح حتى يواصـل العمـل وجلب النقود ليظل البيت مفتوحاً ... بعد أن فرغا من تناول طعام العشاء الشهي الذي قام بطهيه كالعـادة بنفسـه شـربا الشاي ثم ذهب الشيخ العجوز إلى المسجد الذي يرقد علـى بداية طريق المقابر لكي يصلي فرض العشاء وانفـرد هـو بنفسه مع "الجوزة" يدخنها بنهم شديد ... اشتد الإدمان بأبيـه حتى أنه كان دائم الغياب عن الوعي لا يدري من يحدثـه أو أين هو ؟ وماذا يفعل ؟ ضاقت زوجة أبيـه بتلـك الأفعـال والحالة التي وصل إليها الأمر الذي جعلها تفتح بيـت أبيـه للآخرين فقد كان يرى بعيني رأسه الكثير من زمـلاء أبيـه

"العربجية" الكبار في الموقف يترددون علـى منـزلهم فـي أوقات مختلفة من النهار والليل ويقومون بدور والـده مـع زوجة أبيه ... حتى "جمعة" الذي انتشله أبوه مـن التشـرد والضياع وأواه في منزلهم و أغدق عليه من كرمه الفيـاض على آخرين فقط دونهم، كان يأخذ نصيب الأسد مـن جسـد زوجة أبيه الفائر ... عاد الشيخ من صلاته... بخطى ثقيلـة وصوت واهن قال له :-

تصبح على خير.

دخل الشيخ لينام... بعد أن ملأ أذنيـه صـوت شخير الشيخ المعتاد أتجه صوب المقبرة التي أسـكنها هـذا الصباح بجسد شهى ،ثم أخذ يمارس هوايته الأثيرة قبـل أن يشق نور الصباح ستار الليل.